نورجيهان

كيد النساء

obeikan.com

obeikan.com

نورجيهان

كان اسمها قبل أن تتزوج السلطان (مهر النساء) وكانت جيهانكيز خان (المظفر بالله سلطان المغول المسلمين بالهند وعاصمتها آنذاك (أمرا) ، وكانت زوجة صائد الأسد) والى السلطان على البنجاب ، وكان فاسدا اتسم حكمه بالرشوة والفساد حتى أمره إلى السلطان الذي ذهب بنفسه لتقصى الأمور ومعرفة حقيقة ما يقال عن الوالى المرتشى واستخدمت مهر النساء جمالها لتحتال على السلطان ويتجنب زوجها نقمته ونجحت في ذلك ، وعاد السلطان دون أن يفعل شيئا ، لكن الفساد لم يتوقف فأرسل السلطان قائده لإحضار الوالى الفاسد ولو بالقوة ، وشعر الوالى بما ينتظره فغافل القائد وضربه ضربة أودت بحياته وهو ما جعل رجاله يقتلونه ويقعطون رأسه ويحضروها إلى السلطان الذي كانت سهام كيوبيد قد أصابت قلبه وعشق زوجة الوالى (مهر النساء) وكانت هي قد سعت لذلك لكنها أن تلبى السلكان حين طلبها لتشعل نيران الحب في قلبه ، بعد موت زوجها طلبها السلطان لتكون زوجة له ، ولأنها كانت تعلم موقعها في قلبه طلبت منه أن يطلق زوجته أم أولاده كشرط للزواج منه لأنها لا تقبل أن تكون من حريم القصر ، ورضخ السلطان العاشق لطلب الأرملة الجميلة وأعلن طلاق السلطانة أم الأولاد ولم تكتف بذلك بل طلبت أن تكون هي صاحبة الأمر والنهى في السلطنة ، ووافق السلطان وتزوجها وأسماها (نور جيهان) أى (نور الدنيا) ووافق على طلباتها .

وتم الزواج وأصبحت هي التي تحرك كل شيء في القصر ، إما بالأمر المباشر أو بالحيلة والمكيدة والانتقام إذا لزم الأمر .

عشق (شاهجان) أصغر أبناء السلطان ابنة أخ السلطانة (نور جيهان) وكان اسمها (أرجمند) وكانت السلطانة تعلم ذلك وكان

السلطان قد قرر أن ولاية العهد ستكون لأول من ينجب ولدا من أبنائه وبالتالى إذا تزوج ابنه الأصغر من ابنة أخيها وأنجبت ولدا سيكون هو وليا للعهد ويؤول الملك مستقبلا لأخيها وابنته في حين أنها كانت تفكر في غير ذلك ، وبالتالى لابد لنورجيهان أن تدبر أمرها بمكيدة تفسد بها هذا الأمر وتغير مجرى الأمور .

كان التخطيط أن يتزوج الابن الأكبر للسلطان من ابنة نور جيهان لينجبا أولا من يرث العرش ولذا لابد من منع زواج الابن الأصغر أو حتى تأجيله وبدأت تخطط إما لإبعاد شاهجهان أو التخلص منه حتى لا يتزوج (أرجمند) ابنة أخيها .

كان (شاهجهان) في معارك مع الوثنيين وكانت أخبار انتصاراته تسبقه إلى القصر وكلما مر الوقت تزداد (أرجمند) شوقا وتزداد عمتها حدة في تدبير مكائدها .

لم تصل نور جيهان إلى حل في وجود (شاهجهان) فسعت إلى تأجيل عودته كسبا للوقت ولذا طلبت من السلطان أن يرسله لمحاربة الهنادكة في الدكن على أمل الخلاص منه واستجاب السلطان لرأيها فطلبت - لتأكيد الخلاص منه - من أخيها رئيس التشريفات أن يدفع ببعض القتلة للخلاص منه إن نجا من المعركة .

خسرت نورجيهان تلك الجولة بانتصار شاهجهان في المعركة وعودته التي سعد بها الجميع إلا هي فقد أرقها هذا النصر الذي أضاف إليه مجدا ساقته هي إليه بنفسها حين أتت الرياح بما لا تشتهى السفن .

بدأت تفكر في مكيدة جديدة لإبعاده تبدو على أنها مكافأة فطلبت من السلطان أن يعيده إلى (الدكن) نائبا عن السلطان وشعرت (أرجمند) بأسى شديد حيث اقتنع السلطان برأى عمتها .

عاد (شاهجهان) إلى القصر والتقى حبيبته (أرجمند) وأخبرته بما

تدبره (نورجيهان) وبموافقة السلطان على رأيها فأخبره أنه سوف يرفض إنعام السلطان عليه من أجل البقاء والزواج منها لكنها رفضت التضحية ولم تشجعه على مخالفة أمر أبيه السلطان ، وأمام إصرارها أخبرها أنه من الممكن أن يقبل العودة بشرط .

انزعجت (أرجمند) من لهجة حبيبها وقالت له:

- أتشرط على السلطان؟

ويبدو أن السلطان كان بالقرب منهما وسمع حوارهما فكان سؤاله لابنه أسرع من جوابه على حبيته:

- وما شرط يا شاهجهان؟

كان ذلك مفاجأة عظيمة لهما أوشكت أن تربكهما ، لكن الابن المنتصر تماسك وقال لوالده:

- أريد أن أكمل دينى يا مولاى .

فضحك السلطان وقال لابنه مداعبا:

- لقد وقعت في الحب إذن؟!! ومن هي سعيدة الحظ هذه؟ فأجابه وهو ينظر إلى حبيبته أرجمند:

- ها هي أمامك يا مولاى (أرجمند) ابنة رئيس التشريفات التي أعتقد أننى لم أجد زوجة أفضل منها تعيننى على البعد وتهبنى السعادة مثلها .

فرد السلطان ضاحكا:

- نعم الاختيار وأنا قبلت شرطك .

طار الحبيبان من السعادة بعد موافقة السلطان وبدءا من لحظتها التفكير والاستعداد للزفاف .

أما السلطانة فقد جن جنونها حين علمت واستدعت أخاها

وأخبرته برغبتها ألا يتم هذا الزواج وطلبت منه أن يفعل أى شيء لمنعه ، وبلغ الأمر حد التهديد ، لكنه رفض أوامرها وأخبرها أنه لا يستطيع أن يكسر قلب ابنته ويحرمها ممن تحب ، فصرخت في وجهه:

– وماذا عن ابنتى أنا التي قتل رجال السلطان أباها ، ولن يعوضها عن ذلك إلا أن يكون زوجها (شهريار) وليا للعهد .

وأخذت تذكره أنها هي التي جعلته في المكان الذي هو فيه الآن وأنه طالما خطط معها للخلاص من شاهجهان ليتولى شهريار ولاية العهد .

فرد عليها بأن ذلك كان قبل أن يعلم أن ابنته تحبه وهو يحبها ويرغب في الزواج منها ، فهددته بإبلاغ السلطان بذلك إن هو رفض أن يتعاون معها لوقف هذا الزواج وسوف تخبره وتخبر السلطان أنه دبر لقتله وتقدم الأدلة على ذلك .

خشى أخوها لما يعرفه عنها وما يمكن أن تفعله إذا أرادت شيئا وأصرت عليه ووقع الرجل في حيرة بين تحقيق سعادة ابنته بتحقيق حلمها في الزواج من (شاهجهان) وما قد يترتب على ذلك من تحد لأخيه قد يكلفه أو يكلف ابنته حياتهما أو الرضوخ لها وإيثار السلامة لكنه لم يستطع الوصول إلى قرار فأخبر ابنته بما حدث ونصحها بأن تحاول الابتعاد عن شاهجيهان حتى لا تتعرض لانتقام عمته السلطانة .

رفضت أرجمند التهديد وقبلت التحدى ليخرج الأب حائرا لا يدرى ماذا يفعل وماذا يقول للسلطانة التي تنتظر رده ، لكنها لم تكن تنتظر الرد بل فكرت على الفور في مكيدة جديدة كانت بمثابة خطة بديلة .

كان برويز الابن الأوسط للسلطان يحب "ارجمند" ورأت في هذا الحب بغيتها لتنسج خيوط المكيدة حيث أخذت تحرضه أن أخاه الأصغر سوف يتزوج الفتاة التي يحبها وتنجب له الولد ليكون وليا للعهد وتخسر أنت كل شيء ولم تكتف بذلك بل بثت سمومها أيضا في رأس الابن

الأكبر شهريار بأنه هو الأكبر ورغم ذلك فإن زواج شاهجيهان من أرجمند سوف يضيع عليه كل الفرص ولن ينال شئ .

تمكن الحقد من قلب الابن الأوسط "برويز" الذي أقسم أمامها ألا يجعل أخاه يهنأ بأرجمند ، فعاجلته نورجيهان .

– ولماذا لا تفعلها الآن وسوف يساعدك (أخى) آصف خان أب (أرخمند) .

فرد عليها بأن أباها لم يعد يفضله أو أنه لن يقبله بعد أن طلبها شاهجهان ، فردت بلهجة الواثق:

– بل سيقبل طلبك .

في تلك اللحظة يخرج آصف خان لخبر أخته السلطانة برفض ابنته ، فصرخت السلطانة في وجهه:

– لقد عجزت معها وأنت أبوها . . أى فتاة هذه التي تعصى أوامر أبيها!!

– آصف خان: أرجمند لم تعد طفلة وهي تعرف مصلحتها جيدا وتعى تصرفاتها .

السلطانة: حقا لم تعد أرجمند طفلة لكن يبدو أنك أنت الطفل يا آصف وإذا كنت قد عجزت معها ولم تستطع ردعها فأنا لن أعجز وأعرف أردها عن ما في عقلها لتطيع أوامرى .

تزوج "شاهجهان" من "أرجمند" وأسماها "ممتاز محل" ورحل بها إلى "الدكن" نائبا للسلطان ليقضيا أيامهما في سعادة غامرة كانت فيها زوجة مثالية محبة لزوجها حريصة على سعادته وكان هو زوجا حنونا وانعكس هذا الحب على شعب الدكن فعاش في سلام ، واستقرت الأمور وخلال خمس سنوات أنجبا ولدين وأعلن السلطان ولاية العهد

لشاهجهان الذي أحبه شعب الدكن لأنه كان عادلا محبا لشعبه يحكم بما أمر به الإسلام من سماحة وعدل وكانت زوجته خير معين له على حب شعبه والمساواة بين أفراده .

ظن الزوجان السعيدان أن حياتهما سوف تستمر على ذلك خاصة الزوجة الوفية ممتاز محل التي شعرت بالاطمئنان ببعدها عن عمتها "نور جيهان" لكن النار المستعلة في قلب السلطانة لم تطفئها السنين ، بل زادت لهيبا بعد إعلان السلطان ولاية العهد "لشاهجيهان" وسعت إلى تدبير مكيدة تدمر بها حياة الزوجين السعيدين أو الخلاص منهما ومن أولادهما .

دبرت السلطانة مكيدتها مع "برويز" الابن الأوسط للسلطان وطلبت منه أن يرسل رسولا إلى "ممتاز محل" يخبرها أن أباها قد أصيب في القتال ويريد أن يراها وأنه على وشك الموت ، وفعل الرسول ذلك ومثل دوره جيدا حتى أقنع الزوجين بالأمر فنهره شاهجهان في غضب وطرده ، لكن الرسول طلب من الأمير أن ينتظر ليصحبها إلى أقرب الطرق .

انطلق الرسول الذي كان أحد أطراف المكيدة - بالأميرة وحارسها واستطاع الرسول أن يرشى الحارس في الطريق بعد أن أقنعه أن والد الأميرة ليس مصابا وأن الأمر لا يزيد عن كونه خدعة لتتمكن الأمير من لقاء عشيقها "برويز" أخ ولى العهد ، وكانت النقود التي أعطيت له - على أنها من الأميرة - كافية لإقناعه .

في الوقت ذاته كانت "نورجيهان" تكمل فصول مكيدتها حيث أقنعت السلطان أن يرسل "شاهجهان" لمطاردة الأعداء في قندهار ودبرت مع أخيه "شهريار" أن يقتله رجاله لتؤول إليه ولاية العهد بعد ذلك ، أما "برويز" فإن الجو سيخلو له ليمتلك "ممتاز محل" التي أحبها .

حين وصلت "ممتاز محل" إلى القصر هرعت تبحث عن أبيها أو عمن يطمئنها عليه فوجدت أمامها "برويز" فسألته عن صحة أبيها وعن

إصابته لكنه رد عليها بهدوء ماكر:

- إن الإصابة في قلبى أنا .

وحاول أن يحضنها ويقبلها بالقوة ، لكنها نهرته وابتعدت عنه وذكرته بأنها زوجة أخيه ، لكنه لم يرتدع بل تمادى في محاولته في احتضانها وتقبيلها بالقوة ويحدثها عن حبه لها ، لكنها كانت تحاول جاهدة الإفلات منه وتتوعدهم بإبلاغ أخيه بذلك ، فرد عليها بتبجح وصفاقة:

- إنه سيعلم أننا متحابان .

في هذا الوقت كان الرسول قد أحضر الحارس ليرى ذلك المشهد من بعيد حتى لا يستمع إلى الحوار ويقتنع بأن الأمير قد أتت بالفعل للقاء عشيقها .

لم يتوقف "برويز" عن محاولاته الاعتداء عليها رغم توعدها له بإبلاغ أخيه فأخبرها أنه ذهب إلى نهايته وأنه لن يرجع .

- لقد ذهب إلى قندهار ليحارب هناك بأمر السلطان بعد أن دبرت ذلك نورجيهان ولن يرجع بعد اليوم .

أخرست الدهشة "ممتاز محل" حين علمت وأدركت حجم المكيدة التي دبرتها "نورجيهان" لتدمير حياتها والخلاص من زوجها ، وقبل أن تفيق من دهشتها كانت السلطانة السامة تقترب منها وتتظاهر بالدهشة منكرة وجودها مع "برويز" في هذا الركن البعيد من الحديقة وسألتها في استنكار:

- أميرة الدكن في أكرا ولا أعرف!

- ممتاز محل: بلغنى أن أبى مصاب فأتيت لرؤيته .

فردت عليها بسخرية:

- أصف خان في مهمة ببلاد الأفغان وهو بخير وصحة جيدة .

ذهلت "ممتاز محل" مما سمعت وسألتها في حيرة:

- والرسول الذي أتى ليخبرنى بإصابته في الحرب؟

فردت عليها وهي تنقل بصرها بين "برويز" وبينها لتؤكد لها اتهاماتها:

- بل أنت التي احتلت على زوجك للقاء عشيقك أيتها الخائنة وسوف أخبر زوجك بذلك .

بعد أن رأى الحارس ما أرادوا أن يراه أعادوه مع الرسول إلى شاهجيهان بدون الأميرة لإكمال فصول المؤامرة وحين سألهما عن الأميرة رفضا الإجابة - فالرسول يعرف دوره ويتقنه جيدا والحارس تم إقناعه بما أرادوا - وحين ألح الأمير في السؤال طلبا إخلاء القاعة للحديث مع الأمير بمفرده ولبى الأمير طلبهما وجلس يستمع إليهما مما لُقناه من اتهامات "للممتاز محل" والأمير غير مصدق ، ولم يتمالك الزوج العاشق لزوجته التي لا يشك في براءتها من هول الصدمة إلا الإطاحة برأسيهما وتوعدهما حين عودتها .

عادت "ممتاز محل" مسرعة إلى "الدكن" لتجد زوجها وأولادها في لباس الحرب فألقت بنفسها تحت قدمى زوجها الذي فوجئ بحضورها وجرد سيفه من غمده وهو يصرخ فيها:

- كيف جرؤت على ذلك يا خائنة؟

فتعلقت في ساقيه وهي تستعطفه بعينين باكيتين أن يسمعها ولا ينخدع ولسانها نطق من العزة:

- اقتلنى إن كنت قد صدقتهم .

وأعاد الزوج المحب الواثق من براءة زوجته سيفه إلى غمده وأحاط أبناءه بذراعيه وهو يقول:

- إن سيفى أشرف من أن يلوثه دم خائنة .

أمر "شاهجهان" رجاله أن يأخذوها إلى السجن وتمالكت الزوجة

المحبة والتمست للزوج العاشق الأعذار فيما يفعل لأنها كانت تدرك حجم المكيدة التي دبرتها نورجيهان وأثرها عليه وذهبت معهم إلى السجن في عزة وهي تخاطب زوجها في أسى:

- افعل بى ما تشاء يا شاهجهان لكن لا تذهب إلى قندهار لأن الموت ينتظرك هناك والخونة الذين أوقعوا بى وسعوا إلى تدمير حياتنا ينتظرونك هناك لقتلك غدرا .

عاد "آصف خان" من المهمة التي كان قد ذهب إليها في بلاد الأفغان وعلم بما حدث فاندفع إلى أخته السلطانة ثائرا:

- فعلتها يا نور جيهان!!

فردت عليه باستخفاف وسخرية:

- لم أفعل شيئا . . ابنتك هي التي لم تحافظ على شرف زوجها .

- آصف خان ثائرا: هل يصل الأمر إلى تلويث سمعتها .

- نورجيهان بنبرة سخرية وتحد وزهو بالانتصار: احصد ما زرعت يا آصف خان فأنت الذي خالفتنى وشجعت ابنتك على ذلك ولابد أن تنالا عقابى .

- آصف خان: سوف أنتقم منك أيتها الحية الرقطاء قريبا ، لكنى ذاهب الآن لحماية ابنتى وإبلاغ شاهجهان بحقيقة مكيدتك .

واندفع آصف خان خارجا وهي من خلفه تحاول أن تمنعه لولا دخول السلطان عليها ومعه ولديه شهريار وبرويز ، فسألها السلطان عن سبب ثورة أخيها وخروجه مندفعا هكذا ، فردت متظاهرة بالأسى:

- لا أجرؤ أن أخبر جلالة السلطان بالسبب .

لتخفى علمها أن بقية أضلاع مثلث الشر قد أخبره لتكتمل المكيدة ، لكن السلطان أخبرها أنه يعلم ما تحاول أن تخفيه ، وقال شهريار

متظاهرا بالاستنكار:

- والأدهى أنه يمتنع عن إرسال إمدادات من رجاله للعون والمساعدة .

وتأكيدا للمؤامرة كان قد أحضر أحد المرتشين الذي قدمه للسلطان قائلا:

- وهذا قائدك "مهابت خان" يخبرك بما حدث .

ودخل المرتشى الخائن ليقول وهو ينحنى أمام السلطان:

- هي الحقيقة يا مولاى .

وثار السلطان ، وصرخ غاضبا:

- والله لا أدعك يا شاهجهان وسوف تنال جزاء عصيانك .

وانتهزت نورجيهان ثورة السلطان وغضبه على شاهجهان فقالت وهي تخفى فرحتها بنجاح مكيدتها وانتصارها:

- أرسل ولك شهريار إلى قندهار على رأس حملة واجعل ولايته للعهد مكافأة لما يحققه من انتصار .

فكر السلطان قليلا ثم قال:

- هو ما رأيت يا نور جيهان .

لكنها لم تكتف بذلك وتريد أن تكافئ برويز أيضا على تضامنه معها في مكيدتها وتضمن في الوقت نفسه القضاء على شاهجهان ، فواصلت حديثها متهزة ثورة السلطان وغياب عقله وانصياعه لها:

- وأعتقد أن برويز هو خير من يقود الحملة للقضاء على مؤامرة شاهجهان وعصيانه .

وافق السلطان المخدوع على ذلك أيضا وغادر القاعة وهي من خلفه ومن خلفها زوج ابنتها شهريار في حين وقف برويز يحادث

صديقه الخائن المرتشى "مهابت خان" بصوت خافت:

- أرأيت ما تدبره السلطانة ، لينال زوج ابنتها ولاية العهد!

ورد القائد الطامع "مهابت خان" :

- والله لن ينالها شهريار فأنت الأحق بولاية العهد يا برويز ، وأعتقد أن زوجة أبيك تريد أن ترسلك إلى الدكن لقتل أخيك وربما لقتلك أنت أيضا حتى يخلو الجو لزوج ابنتها ولا يزاحمه أحد في عرش السلطنة ، فهز برويز رأسه وهو يقول في سره:

- بالفعل كما أرسلتك إلى حرب البنغال للخلاص منك وأيقظه من أفكاره ما قاله صديقه الخائن مهابت خان .

- لن يوقف هذه المرأة عن طغيانها وجبروتها إلا العصيان .

وافقه برويز على ما قاله وأكد له أنه معه إذا انشق بقواته على السلطان وزوجته .

وصل آصف خان إلى الدكن ولحق بشاهجهان وهو في بداية طريقه إلى قندهار واستطاع أن يقنعه بالتوقف عن مواصلة السير ويطلعه على تفاصيل المؤامرة التي دبرتها أخته السلطانة له ولزوجته وأن ذهابه إلى قندهار ليس إلا محاولة للخلاص منه ، وعاد شاهجهان إلى الدكن وأعلن رفضه لأوامر السلطان وكان أول مكان يذهب إليه هو السجن ليخرج زوجته ممتاز محل ويعتذر لها عما حدث ويضمها بين ذراعيه ويطلب منها أن تسامحه .

في الوقت الذي كانت الدكن تنعم بالرخاء والسلام تحت قيادة شاهجهان كانت نورجيهان تدفع السلطنة إلى الهاوية وأقنعت السلطان أن يجعل ولاية العهد لزوج ابنتها شهريار .

ضاق كبار رجال الدولة ذرعا بتسلط نورجيهان وغرورها وعبثها

بمقدرات البلاد وأقنعوا شاهجهان أن يذهب على رأس جيوشه للخروج على السلطان وإنقاذ البلاد من عبث نورجيهان ، وفى نفس الوقت كان القائد "مهابت خان" مع "برويز" قد خرجا عليه أيضا بجيوشهم وأصيبت قواته التي أرسلها إلى قندهار بقيادة شهريار بهزيمة منكرة وسقط الجيش في يد الهندوس .

رغم كل المصائب التي حاقت بالبلاد بسبب مكائدها لم ترتدع نور جيهان واستطاعت أن تقنع السلطان أن موقف شاهجهان هو سبب هزيمة شهريار في قندهار وضياعها وطلبت منه أن ينحى شاهجهان عن الدكن ولم تكتف بذلك بل جمعت حولها من كانوا يطمعون في نيل ممتاز محل من الأمراء قبل زواجها من شاهجهان - كل على حدة - .

كانت ممتاز محل تدرك قدرة السلطانة الأفعى على تدبير المكائد وتخشى على زوجها من سمها فطلبت بطيبة قلب أن يتقرب إلى والده وينال رضاه لأن رضاء الله من رضاء الوالدين؟ واقتنع شاهنجان برأيها وذهب إلى أبيه الذي فرح برجوع ابنه إليه وقبل توبته واعتذاره وعلمت نور جيهان بذلك ، فحذرت السلطان من أن ينقلب شاهجهان عليه مرة أخرى وطلبت ضمانا لذلك أن يجعل شاهجهان من يقسم العهد لشهريار و أن يرسل ولديه ليكونا رهينة لدى جدهما السلطان حتى لا ينقلب عليه مرة أخرى .

وانساق السلطان المهزوز وراء زوجته لكن الشرطان كان محجفان وكانت نور جيهان تعلم ذلك ولكن ممتاز محل حين علمت ذلك من زوجها طلبت منه أن يقبل الشرطين لكنه رد عليها مستغربا .

وهل تطيقين بعد صغيريك وتأمنين عليهما بتركهما تحت رحمة نورجيهان!!

- ممتاز محل: من أجلك أفعل أى شئ لأزيل من أمامك كل العقبات .

كـان القدر رحيما بالزوجة المحبة لزوجها ، فلم يمهل نورجيهان حتى تـنفذ مكـيدتها ، مـات الـسلطان جهانكيز خان وذهب آصف خان والد ممـتاز محـل ليخـبر شـاهجهان بالخـبر ، ويطلب منه العودة بسرعة ليعلن نفـسه سـلطانا على البلاد ، لكن نورجيهان حرضت زوج ابنتها شهريار أن يعلـن نفـسه سلطانا على البلاد ، وعلم آصف خان بذلك قبل ذهابه إلى شـاهجهان فأسـرع وألقـى القبض بنفسه على شهريار ليمهد الطريق لشاهجهان لتولى السلطة قبل أن يفلت زمام الأمور .

وجلس السلطان الجديد على عرش السلطنة يحكم بالعدل والمساواة بين الناس عام ١٦٢٧م .

وذات يـوم بيـنما يجلـس السلطان على العرش وعلى يمينه السلطانة ممـتاز محـل وعلـى يساره وزيره الأول يمين الدولة (آصف خان) ويجلس رجـال البلاط على جانبى القاعة وهو ينظر في أمور الرعية ولم يبق لأحد ظلامـة ، سـأل السلطان عمن بقى من أصحاب المظالم فوقفت السلطانة "ممتاز محل" تاركة مكانها لتقف أمام السلطان المتعجب مما يرى وقالت:

- أنا يا مولاى لى ظلامة .

السلطان "متعجبا": أظلامة من السلطان؟

- الـسلطانة: صـاحبة الظلامة تعجز الآن عن الحضور وأنا أعرض ظلامتها عنها .

- السلطان: وما ظلامتها؟

- الـسلطانة: كانـت في دارهـا ذات قدرة ونفوذ من حولها مغريات الدنيا فهل يعيبها أن يكون لها أحلام وآمال؟

- السلطان: ما استحق الحياة من عاش بلا أحلام .

- السلطانة: وهل يعيب الجواد أن يخطئ فيسقط؟

- السلطان: لكل جواد كبوة .

- السلطانة: فإن كانت الكبوة بصاحبه فنال عنها العقاب ثم استغفر وتاب فهل يعفى ويثاب .

- السلطان: العفو عند المقدرة من شيم الأكرمين .

انحنت السلطانة "ممتاز محل" أمام زوجها في تقدير وقالت في رضى وثقة في كرمه:

- والله عرفتك أندى الأكرمين وأقدرهم على العفو والثواب .

نزل السلطان عن عرشه وأنهضها وهو يقول:

- أحسنت العرض والدفاع فإن كان الأمر يتصل بى فقد عفوت وأثبت فمن تكون صاحبة الظلامة؟

وكانت المفاجأة العظيمة التي تدل على كرم أخلاق هذه السيدة التي قل أن تتكرر فلم تكن صاحبة الظلامة سوى عمتها . . المرأة التي جرعتها سمها وحاولت الخلاص منها وإذلالها وتلويث شرفها .

اتجهت "ممتاز محل" ببصرها ناحية الباب وهي تقول:

- فليأذن لها السلطان بالدخول .

فأذن لها ، ودخلت من الباب امرأة محجبة وقفت في ذل أمام الجميع واقتربت من ممتاز محل وأخذتها بين ذراعيها وهي تقول:

- ارفعى حجابك فقد عفا عنك السلطان يا نور جيهان وكانت المفاجأة العظيمة لشاهجهان لكنه لم يكن أقل من ممتاز محل كرما وسماحة ، وقد ماتت ممتاز محل بعد ذلك وهي تلد ودفنت في أجل قبر في العالم بناه لها زوجها ليخلد هذا الحب العظيم ويخلد ذكراها .

❊ ❊ ❊